التوفيق في قضاء حوائج الناس نعمة عظيمة

الحمدُ لله الذي أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينا النعمة، وخصَّنا بخيرِ كتابٍ وأكرَمَنا بخيرِ نبيٍّ، وجعلَنا بالإسلام خيرَ أمة، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه؛ بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، صلّى الله عليه وسلّم، أمّا بعدُ، عبادَ الله اتقوا اللهَ تعالى وراقبوه في السر والعلن، أما بعد

إن السعي في قضاء حوائج الناس، وتفريج كربهم، وتنفيس همومهم، وإدخال الفرح والسرورعلى قلوبهم؛ وفي ذلك فضل عظيم، وثواب جزيل، فالإسلام يربّي أتباعه على تعميق الأخوة الإيمانية؛ من خُلُقٍ حَسَنٍ، ورحمةٍ بالفقراء والضعفاء، وتيسيرٍعلى المعسر، وسترٍ على العاصي؛ ينتظم الدين الإسلامي كل معاني التكافل الاجتماعي ، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من نفَّس عن مؤمن كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومَن سَلَكَ طَريقًا يَلتَمِسُ فيه عِلمًا سَهَّلَ اللهُ له به طَريقًا إلى الجَنَّةِ، وما اجتَمع قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ، يَتْلونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسونَه بينَهم، إلَّا نَزَلَت عليهم السَّكينةُ، وغَشيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهُمُ المَلائِكةُ، وذَكَرَهمُ اللهُ فيمَن عِندَه، ومَن بَطَّأ به عَمَلُه لم يُسرِعْ به نَسَبُه [هذا مما انفرد به مسلم على البخاري]

هذا الحديث من جوامع كَلِمِ النبي صلى الله عليه وسلم التي تحمل الكثير من التوجيهات التي تربط الأخلاق بالإيمان، وتَمْزُجُ بين العقيدة والعمل، وتعمِّق علاقة الدنيا بالآخرة، وهو بِشارةٌ تدفع المؤمن للعمل الخيري والتطوعي، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعِهم بما يتيسر؛ من علمٍ، أو جاهٍ، أو مالٍ، أو معاونةٍ، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو دلالة على خير أوإعانة بنفسه أو بوساطته، أو الدعاء بظهر الغيب، أوغيرذلك، ولقد حثَّنا النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته هذه على تنفيس الكُرب عن المؤمنين، ولا ريب أن هذا العمل عظيم عند الله وفي نفوس الناس؛ إذ الحياة مليئة بالمشاقِ والصعوبات، وما أجمل أن يسارع المسلم في مدِّ يدِ العون، والسعي لإزالة هذه الكرب!

جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأيّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعُهم للنّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تُدخِله إلى مسلمٍ، أو تكشِف عنه كربةً، أو تقضِي عنه دينًا، أو تطرُدَ عنه جوعًا، ولأن أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ أحبَّ إليّ مِن أن أعتكِفَ في هذا المسجد شهرا.

عباد الله

لقد حَثَّ الشَّرعُ على التَّحلّي بالفضائلِ ومَحاسنِ الأخلاقِ، مِثلِ قَضاءِ حَوائجِ النَّاسِ والتَّيسيرِعليهم ونَفْعِهم بِمَا يَتَيَسَّرُ من مالٍ أوعِلمٍ أو مُعاونَةٍ أو مُشاورَةٍ، وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:مَن نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً، أي:رَفَعَ عن مُؤمنٍ حُزنًا وعَناءً وشِدَّةً، ولو كان يَسيرًا، فيكونُ الثَّوابُ والأجْرُ أنْ يُنَفِّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ ، وتَنْفيسُ الكُرَبِ إحسانٌ، فجَزاه اللهُ جَزاءً وِفاقًا، ومَن يَسَّرَ على مُعسِرٍ، والتَّيسيرُ على المُعسِرِ في الدُّنيا مِن جِهةِ المالِ يكونُ بأحَدِ أمْرَينِ: إمَّا بإنْظارِه إلى المَيسَرةِ، وتارَّةً بالوضْعِ عنه إنْ كان غَريمًا، أي: عليه دَينٌ، وإلَّا فبإعْطائِهِ ما يَزولُ به إعسارُه، وكِلاهُما له فَضلٌ عَظيمٌ، لقوله تعالى: **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌلَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** [البقرة] يعني:إن كان الذي عليه الدين لا يستطيع الوفاء، فيُمهَل ويُنظَر، وجَزاؤُه أنْ يُيَسِّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ مُقابلَ تَيسيرِه على عَبدِه؛ مُجازاةً له بجِنسِ عَملِه، ومَن سَتَرَ مُسلِمًا، أي:رآهُ على قَبيحٍ فلم يُظهِرْه للناسِ، فيَكونُ جَزاؤُه أنْ يَستُرَ اللهُ عَوْرتَه أو عُيوبَه، في الآخِرةِ عن أهْلِ المَوقِفِ، وهذا فِيمَن كان مَستورًا لا يُعرَفُ بشَيءٍ مِن المعاصي، فإذا وَقَعَت منه هفْوةٌ أو زَلَّةٌ، فإنَّه لا يَجوزُ هتْكُها ولا كشْفُها ولا التَّحدُّثُ بها، وليْس في هذا ما يَقْتضي تَرْكَ الإنكارِعليه فيما بيْنه وبيْنه، وقَولُه: **واللهُ في عَونِ العَبْدِ ما كان**

العَبْدُ في عَونِ أخيهِ، أي: مَن أعانَ أخاهُ أعانَه اللهُ، ومَن كان ساعيًا في قَضاءِ حاجَاتِ أخيهِ، قَضى اللهُ حاجاتِه؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ، وأخبرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ **مَن سَلَكَ طَريقًا يَلتمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ له به طَريقًا إلى الجَنَّةِ.** وهذا يَشمَلُ الطَّريقَ المَعنويَّ والطَّريقَ الحِسِّيَّ؛ فأمَّا المعنويُّ فهو الطَّريقُ الَّذي يُتوصَّلُ به إلى العِلمِ؛ كحِفظِ العِلمِ، ومُدارستِه ومُذاكرتِه، ومُطالعتِه وكِتابتِه ، والتَّفهُّمِ له، بأنْ يُلتمَسَ العِلمُ مِن أفواهِ العُلماءِ ومِن بُطونِ الكُتبِ؛ فمَن يَستمِعُ إلى العُلماءِ، أو يُراجِعُ الكُتُبَ ويَبحَثُ فيها -وإنْ كان جالِسًا-؛ فإنَّه قدْ سلَكَ طَريقًا يَلتمِسُ فيه عِلمًا، وأمَّا الطَّريقُ الحِسيُّ فهو الَّذي يَجتهِدُ فيه المرءُ، ويَسيرُ فيه على الأقدامِ؛ مِثل أنْ يَأتيَ الإنسانُ مِن بَيتِه إلى مَكانِ العِلمِ، سَواءٌ كان مَكانُ العِلمِ مَسجِدًا، أو مَدرسةً، أو جامِعةً، أوغيرَ ذلك، سَهَّلَ اللهُ له به طَريقًا إلى الجَنَّةِ، أي: يَسَّرَ اللهُ له عَمَلًا صالحًا يُوصِلُه إلى الجَنَّةِ بفَضلِ اللهِ ورِضوانِه عليه، فيُوَفِّقُه الله للأعمالِ الصَّالِحةِ، لأنَّ العِلمَ الشَّرعيَّ يُعرف به الله وتُعرَفُ به أوامِرُ اللهِ ونَواهيهِ، فيُستَدَلُّ به على الطَّريقِ الَّذي يُرضِي اللهَ عزَّ وجَلَّ، ويُوصِلُ إلى الجَنَّةِ، وفي الحديثِ أنَّ الجزاءَ مِن جِنسِ العملِ وللحديث بقية في الجمعة المقبلة إن شاء الله.

خطبة الجمعة ليوم 3 أبريل 2026 م الموافق لـ 15 شوال 1447 هـ